ديوان

ميخائيل ابن انطون الصقال

الجزء الاول

« طبع في مطبعة العصر الجديد بحلب سنة ١٩٢٥ »

سأكون عند صاحب الديوان بعيداً عن الشعر والعلم والكرم لانني لا أستطيع ان آخذ نفسي بالاشراط التي اشترطها على الناقد — بعد ان وكل اليّ نقد الديوان — فقد كتب تحت عنوانه :

لا تنقد الشعر الا بالرفق ان كنت شاعر

وذيّل المقدمة بقوله :

ان تكن عالماً فجد لي بعذر او تكن جاهلاً فقل ما تشاء

وختم الديوان بالقول المأثور :

(والكريم يغضي عن العثرات)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فله ان ينبزني بما شاء من الالقاب ولي ان أنقد الديوان نقداً اعرب به عما بدا لي من محاسنه ومساوئه ، وعما وجدته في نفسي من الاثر عند قراءته ، بصراحة فوق الجمجمة ودون القحة .

اذا شئت ان تعود بنفسك و بالشعر قرناً او قرنين فاقرأ هذا الديوان ، فانك واجد فيه من انواع البديع : ما يؤلف بدبعية ، ومن التواريخ : كل صحيح في الوزن والحساب مع التزام الناظم في بعضها الاحرف المهملة كقوله :

يدعو بتاريخي له كل الملا دم كل دهر مكرماً مسرورا

ومن فنون القريض ، المدائح والتهاني ، والمراثي والتعازي ، والحكم والمواعظ ، والغزل والنسيب ، وما الى ذلك من فخر وعتاب ....

والقصائد والمقاطيع في الديوان مرتبة على حروف المعجم ، وعناوينها : قلت ومقولها ، مثل : قلتُ مادحاً وقلت راثياً وقلت مؤرخاً الخ ... وقد أشير الى بعضها انها مرتجلة .

كل ذلك قرأته ولم أخرم منه حرفاً واحداً حتى فهرست الخطأ والصواب، ولكن لم يعلق بخاطري منه شيء ، ولم تدع قراءته في نفسي ذكرى لمعنى او لفظ منه ، ولم اهتز لشيء ورد فيه ، اللهم الا عند قوله :

يا أيها البطريك جرجس شلحت يا أيها الحبر العظيم ويا ويا

وعند قوله :

تاجرت بالوزنات خيرُ تجارة ودخلت دار الخلد بالترحيب

فلقد عرتني عند هذين البيتين هزة عريان فوجيء بذنوب من ماء بارد ، ولكنها كانت هزة استهجان لا استحسان .

حاولت ان اقع على مزية للديوان تبوؤه مكاناً يشاكل شيخوخة صاحبه ، فحدقت اليه والقيت السمع عساني أجد ولو ذماء من روح الشاعرية كامناً في تلك الاجسام الموزونة الموسدة المصفوفة فلم اجد .

ثم صوبت طرفي في هاتيك الابيات ، لعلني اقف على صنعة جيدة ، او بناء مهندم ، او رصف محكم ، اوسبك متين ، او طلاء حسن ، فما رأيت شيئاً من ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما يشست من هذا وذاك ، دعوت الله ان يهديني فيه الى معنى سائغ ، او حكمة بالغة ، او نادرة طلية ، او نكتة مستملحة ، فكنت كمن يتطلب في الماء جذوة نار .

لا مرية في ان سوء الطالع حافٌّ بالديوان من كل أقطاره ، فهو مع خلوه من الشاعرية والصنعة اللفظية ، خال من كل موضوع يهم القراء ، فما فيه قصيدة وطنية او مقطوعة اجتماعية ، كأن صاحبه في معزل عن هذا العالم لا يشعر بما يشعر به اهل وطنه ، والشاعر اذا لم يكن ترجمان أمته ولسان قومه فلا يطمع ان يقال له شاعر .

الصقال — أمتع الله به — لا يعتبر الشعر — على ما إخال — الا اداة فكاهة ومدعاة للتسلية لا دخل له في الامور الخطيرة ذات البال ، وللشاعر على رأيه — ان يهذي هذياناً لو صدر عن محموم مبرسم لاستنكر وهُجِّن . قال الصقال :

... فقالت اما هام الفؤاد بعزة فقلت لها ان العواذل تكذب
فقالت أفي تلك القصائد ريبة فقلت لعمري ليس للشعر مذهب

فانظر كيف يرى ان ليس للشعر مذهب وان اطربه اكذبه .

وقصائد المدح في الديوان كثيرة ، ولا اعرف في الشعر باباً اسخف من هذا الباب ، فأي فائدة لك اذا قرأت قصيدة اطول من ليل الشتاء في مدح امير او كبير او وجيه ، لا يتأثم الشاعر نفسه من ان يقول كل ما فيها من الاوصاف والنعوت كذب في كذب .

نعم كان للشعراء الأقدمين معذرة في ذلك لان عصرهم كان عصر الملوك والامراء ، فالملك رمز الامة فاذا مدحه الشاعر فكأنما مدح شعبه وشاد بمآثر أمته ، اما اليوم وقد اضمحلت العروش وهوت التيجان وانقرض حكم الفرد وأصبح الامر بيد الامة فالأولى بالشعراء ان يقلعوا عن مدائح الأفراد ويحولوها الى الامة وهي لا تكلفهم ان يراؤوا او يكذبوا شأنهم مع الملوك والامراء .

والمراثي كثيرة ايضاً في الديوان ، والرثاء اذا لم يستمر الدموع و يبعث كامن الاحزان فهو نوط على عبء المصيبة وضغث على إبالة الرزيئة ، واكثر ما في الديوان لا يبعث اسفي وما فيه عبرة لمعتبر او ذكرى او لمدكر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واما الغزل فلا ادعي ان الناظم لم يخفق قلبه بالحب ولم تأرق عينه للغرام ، ولكني اقول : لم يوفق للافصاح عما خفق به قلبه وأرق له جفنه .

واما الادب والحكمة والوصايا والمواعظ : فقد اتى بهـا صاحب الديوان على نمط لا يلين له قلب ولا يصغي اليه سمع ، لانها اما ان تكون لا شأن لها في نفسها كقوله:

شكا اليّ صديق علة ظهرت فيه فقلت توقّ البرد والتعبا
واقنع اذا ما اشتهيت الأكل معتدلا في كل امر وقيت الضر والعطبا

واما ان تكون مما لا كته الالسن كثيراً حتى مجته الاسماع كقوله :

قالوا لنا ذو المال قد حاز العلى فقلت لا
ان الذي قد حسنت اخلاقه حاز العلى

وليس أدل على خبوّ نار الشاعرية في الناظم وتخلف طبعه من قوله في الطيارة لاول مرة رآها .

أنت طيارة حلبتْ فأدرك قومي العجب
فقلت لهم سير كبهـا بنوكم اينما ذهبوا

فهذان البيتان اولى بالمنجم منهما بالشاعر .

ومن عيوب الديوان المبالغات المستحيلة كقوله :

يا هلالاً لما تغيب ابكى هذه الارض حسرة والسماء

وقوله : هو شمس حسن بعد يوم غيابه لم يبق للبدر المنير ضياء
ان البرية كلها في غمة تبكي عليه كأنها الخنساء

والغفلة في تأدية المعنى حتى يحول الى ما يشبه القدح من حيث أريد به المدح كقوله يرثي شاباً قتيلاً .

قتلوه في شرخ الشباب لانه يأبى الدنيئة لا يجيب مريدا

فانظر الى رداءة « لا يجيب مريدا » في مثل هذا المقام . ومن العيوب : القوافي القلقة المستدعاة قسراً كقوله :

لقد عقدت من شعرها تاج قيصر على رأسها لما دعتها المفاخر

وقوله : اين من دوخوا البلاد وسادوا اين تلك الآثار والعظمات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكقوله : فصددت عني قسوة أسفي ومن هذا الصدود رأيت كل تهدد

على ان في الديوان من القوافي الرصينة ما يشفع بمثل هذا على قلته .

ومن العيوب : التبذل والاسفاف في المفردات والتراكيب كقوله :

أتاني رسول الخود وهو يقول لي لعلك ولهان فقلت أذوب

وقوله : نقول بين الورى انا ذوو حسب وان والدنا المرحوم كان كذا

وكقوله : قم واشتغل واعمل ولا تكسل لنل منها الارب

وكقوله : اقرأ الانجيل واعمل كل خير كل بر

كل سلم كل حلم كل رفق كل يسر

وقوله : فدنا وقال اجلس قليلاً ثم عد قد كنت يا هذا اليَّ محببا

ومثل هذا غير قليل في الديوان والناظم مع كل ذلك شديد الحياطة لكل ما ترشح به قريحته ولو كان فرد بيت كقوله :

ان الزمان حسود يغيظه منك صيتك

فهو كالوالد الذي اسرف في حب اولاده حتى الطرح السقط فانه يحنطه وينفس به على التراب .

وبعد فان في الديوان من الابيات الحسنة الكريمة ما يحسن ايراده و (الكرام قليل) في كل شيء منها :

فاقرأ بطرف خاشع في وجهها ماضلَّ من عبد الجمال ولاغوى

ومنها: تخذتك لي عوناً على الدهر فانقضى رجائي فما اشقى فؤادي وما اصبى

فكنت كسارٍ نام والركب حوله فلما صحا من نومه لم ير الركبا

ومنها: خليلي لولا ذكر جمرة خدها لما كان جمر الوجد في مهجتي شبا

ومنها: برزت بثوب بالنضار منقط ليلاً فلاح البدر بين كواكب

ومنها: قد كاد يذهب لما اسفرت بصري من نور طلعتها لولا دجى الشعر

وذلك كما ترى يصح ان يكون حسن الختام في هذا المقام .

فليب صردم بك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net